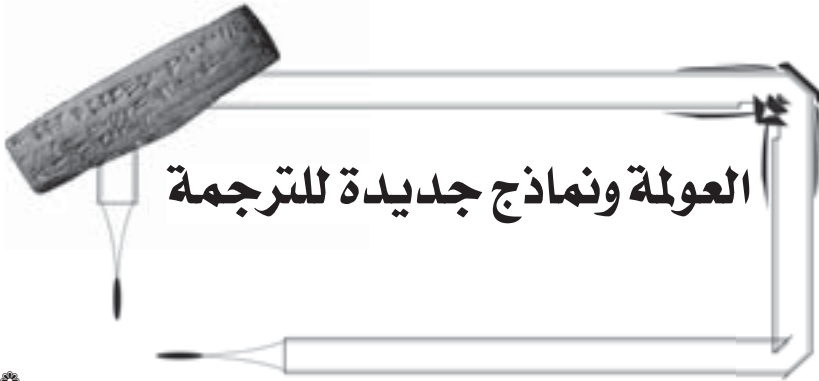


آفاق المعرفة



محمد إبراهيم العبد الله

انشغل جورج بوش وميخائيل غورباتشوف في محادثات نزع السلاح ولم يتوصلا إلى اتفاق حول الجانب الذي سيقوم بطائراته من التحقق بالالتزام بشروط الاتفاقية، هل هو الجانب الأمريكي، أو الجانب السوفييتي. أخفق المترجم السوفييتي، أغور غورشييلوف، في سماع غورباتشوف وترجم كلام غورباتشوف بأنه يقول إن طائرة التفتيش لأهداف التحقق ستكون لدى الجانب السوفييتي بدلا من الجانب الأمريكي. صعق الأمريكيان من هذا التغيير المفاجئ في الموقف الروسي. وطلبوا منه التأكيد من عبارته. فأعادها

باحث ومترجم من سورية.

العمل الفني: الفنان رشيد شمه.

العولمة ونماذج جديدة للترجمة

أصلها وأماكن وجودها واستخدامها أو قيمتها». (بومان ٢٠٠١: ١٢١-٢) عالمنا أصبح ظاهراً لنا حينما بدأ يفقد جانباً منه، أو حينما توقف عن العمل بالشكل الاعتيادي. ثم كقاعدة «هناك أشياء صعبة ومعقدة وغير معتمد عليها ومقاومة عدا كونها محبطة تفرض نفسها على رؤيتنا وانتباهنا وفكرنا (نفس المصدر: ١٢٢). وهكذا، لو أن اختفاء المترجمين أصبح أكثر جلاءً في العقود الأخيرة، فمن الذي اختفى أو تحطم؟ من الذي يتصرف بطريقة جديدة أو منقلبة؟ ماذا عن العالم المعاصر الذي جعل من الترجمة ظاهرة صعبة ومعقدة ومحبطة تفرض نفسها على رؤيتنا وانتباهنا وفكرنا؟

فقد مرّ الاقتصاد العالمي بتغيرات هامة في العقود الأخيرة. وقد لاحظ ديفيد هارفي منذ زمن بعيد بأنه في الاقتصاديات المتطورة («لم ينفك التركيز في الإبداع التقني على خفض الكلفة وخفض زمن الحركة في الفضاء (هارفي ٢٠٠٠: ٥٩). فالقنوات، والسكك الحديدية، والطرق السريعة، والجو والنقل النفاث جعل حركة البضائع والناس أكثر سهولة، كما خفضت من معوقات البعد. انهيار أنظمة بريتون وودز للتجارة والتبادل الدولي في سبعينيات القرن العشرين أدى إلى إلغاء القيود المالية وإلى انفجار أسواق الأسهم العادية لاحقاً. (نفس المصدر: ٦٠).

لكنها هذه المرة كانت «verified party» وليس verifying party والتي هي المنعكس الصحيح للموقف السوفييتي... يصف غورشيلوف في مذكراته الإحراج الشديد الذي تعرض له في تلك اللحظة. «كل من حضر أدار رأسه لينظر إلي. تمنيت في تلك اللحظة لو تبتلعتني الأرض، وقال لي أحدهم مرة بأن «المترجم الجيد هو كالهواء - لا نحس به حتى يتلوث». فلا أحد ينتبه إلى المترجم طالما لم يخطئ، لكن ما إن يزل حتى يصبح محط أنظار الجميع. (١٩٩٧: ٢٦) غورشيلوف (١)

الترجمة ونزع مادية الفضاء

انتباه المترجم شيء اعتيادي في الترجمة. فالعمل الجيد لا يكافأ عليه، أما العمل السيئ فيُنْبَه إليه. فليس هناك أخبار تصنف جيدة. لكن في هذا الجانب، قد تكون الترجمة نمطية بدلاً من أن تكون استثنائية. لاحظ هيفل بأن بومة مينيرفا، إلهة الحكمة، لا تطلق جناحيها إلا عند الغسق. فهي تطلقهما عند المساء حينما ترى الأشياء بأجزائها فقط، وتظهر مرثيات جديدة، مرثيات المعنى أو الترجمة. فالعمى وليس البصر يمكن أن ينتج الكثير من المرثيات. وكما يرى بومان «تري الأشياء حينما تختفي أو تتحطم: فلا بد أن تسقط أولاً خارج» معطياتها «الروتينية، لكي تبدأ البحث عن جوهرها، وتطرح الأسئلة عن

نفسه. وهذا يسمح بالنقل الفوري للملفات بين مجلة التايم والمترجمين. كما يسمح للمشروعات الواقعة تحت الضغط الزمني أن تستفيد من اختلاف الوقت حول العالم عند اجتماع الفريق العالمي، (سبرنج و فورفولياس بوش ٢٠٠٥: ٢٥). فانظمة تكنولوجيا المعلومات IT التي تأخذ على عاتقها نزع محلية الترجمة وإبعادها عن المركز هي أيضا حكاية فاعلة في آليات السيطرة على الاقتصاد العالمي فإن كان هناك تشتيت للجغرافية وتمزيق لأنظمة الإنتاج، فإن هناك تمركزاً متزايداً للسلطة المشتركة من خلال الاندماج وعمليات الشراء، أو اتفاقيات الإنتاج المشترك التي تتجاوز الحدود القومية (هارفي ٢٠٠٠: ٦٣). والشركات المهمة في منطقة الترجمة مثل شبكة بيرلتز العالمية Berlitz Global Net أو شبكة إس دي إل SDL الدولية تلزم نفسها باكتساب الأشياء كوسيلة لاكتساب الخبرة والسيطرة على متطلبات السوق. وهكذا في عام ٢٠٠١، اكتسبت الشبكة بيرلتز العالمية شبكة لينت leapnet، الشركة المتخصصة في استراتيجيات التسويق ذات التكيّف الثقايفي. وكانت لينت قد اكتسبت في وقت سابق اتصالات YAR، الشركة التي بدأت مع الشخص نفسه الذي أسس أوراميركا Euramerica، المكتسب السابق للشبكة العالمية بيرلتز. كما اكتسبت

فإزالة العقبات المادية للحركة أو «نزع مادية الفضاء» من خلال تقدم النظام البرقي، والراديو، والاتصالات، والإنترنت لا يعني بأن الصفقات المالية يمكن أن تحدث على نطاق عالمي فقط، بل يمكن للفاعليات الاقتصادية أن تتسق فيما بينها فضائياً ومن خلال مؤسسات مالية أو غيرها وفي وقت واحد.

أمثلة التحول إلى التنسيق بين الفعاليات الاقتصادية بين بلدان ومناطق زمنية مختلفة تجدها في مشهد الترجمة المعاصرة. خذ شركة Schneider الألمانية على سبيل المثال، هذه الشركة التي أوجدت توثيقاً تقنياً لأنظمة عملاقة بلغات ثلاث (الفرنسية، والألمانية، والإنكليزية) وفي ثلاثة مواقع مختلفة تفصلها آلاف الأميال. فالتنسيق وترجمة المعلومات المتفرقة أصبح ممكناً في ظل استخدام أنظمة تكنولوجيا المعلومات (هو فمان ومهنيرت ٢٠٠٠: ٦٦). لاحظ روبرت سبرانغ والبيرتو فورفولياس بوش، في مقالة لهما عن تكيّف مجلة التايم Time لأمریکا اللاتينية، كيف سمح توفر شبكة بيانات السرعة الفائقة وبرامج نظام النشر الافتراضي (QPS) ليس بمعالجة المكان وحده بل الزمان أيضاً في صناعة الترجمة العالمية: فالشبكة ذات السرعة الفائقة تعني بأن أي شخص يدخل إلى QPS يمكنه العمل في «المكتب الافتراضي»



الحياة الاقتصادية (هارت et el ١٩٩٢).
فمنذ منتصف ثمانينيات القرن العشرين
لم تعد تعمل الحاسبات بمعزل عن بعضها
البعض بل على شكل شبكات وبشكل مطرد .
فتقاسم السلطة على الشبكة الإلكترونية
يعني المقدرة على زيادة الذاكرة ومعالجة
السعة. وكانت النتيجة التغيير الحاسم، من
«التخزين المركزي للبيانات ومعالجتها، إلى
تقاسم القدرة التفاعلية للشبكات، (كاستيلز
١٩٩٦: ٤٥).

فالطلب على استعمال حاسبات الشبكة
تقوده جزئياً احتياجات الاقتصاد العولمي:
«المعلومات الفورية» التي يضخها السوق
تساعد على المنافسة العالمية، لذا فإن

SDL الدولية عام ٢٠٠١ الترجمة
الإلكترونية التي هي قسم من
Transparent Language،
كما اشترت (أعمال توطين
تقنيات سكايز) Localization
Business of Skyes
Technologies (فرايفالذز ١٠:
٢٠٠١). فحركة الطرد المركزي
على مستوى العمليات تعوض
بالحركة المركزية على مستوى
المراقبة والسلطة الاقتصادية .
فإذا كانت الترجمة قد تأثرت
اليوم كثيراً بمتغيرات الاقتصاد
السياسي ولا يمكن تناولها بعيداً
عن هذه المتغيرات، كيف لنا أن

نتخيل الترجمة في عصر الكوكبة، وبدقة
أكثر، ما هذه العناصر في الترجمة التي
تجعلها مرئية ليس في القرن العجوز وإنما
في فجر القرن الجديد؟ فالنموذج الذي
يساعد في تغليف العديد من الحركات
المتناقضة في تطور الترجمة في عصر العولمة
هو هذه الشبكة.

الشبكات وربط الشبكات:

إن اختراع نظام السيطرة على الإرسال
في أي بي IP عام ١٩٧٤ - وبروتوكول شبكة
الترابط الذي يسمح بربط أنواع مختلفة
من الشبكات. أدى إلى تطور نوع جديد من
الحاسبات كان له نتائج مهمة على منظومة

الألي المتزامن) مشكلة في ترجمة شيء ما، فإنه سيرسل على الفور استفساراً إلى كل الساتس حول العالم (بالضبط كما نفع اليوم بأسئلة محرك البحث على الإنترنت) لرؤية أي ساتس آخر لديه ترجمة مقنعة. بمعنى، أن التطورات موجودة مسبقاً في الأفكار التي يستخدمها المترجمون في العقود الأخيرة للبريد الإلكتروني ولوحات الإعلانات، ومجموعات الأخبار وقوائم العناوين. تذكر نتاليا شاهوفا الصعوبة التي واجهتها هي وزملاؤها في وصفها لترجمة مصطلح knowledge worker business @ الروسية لكتاب بيل غيتس «في ترجمتها the Speed of Thought»، أرسلتُ استفساراً عن التعبير المعاصر للمصطلح إلى لانترا (المنتدى العالمي للمترجمين والمفسرين) ووجدت بأن أبناء البلد لديهم آراء مختلفة (شاهوفا ٢٠٠١: ٣٢). فربما لا يستطيع المترجم الروسي الحصول على جواب بسيط، لكن بما أنه شخص مطلع وقريب من التواصل الفوري مع المتكلمين الإنكليز المحليين فقد أصبح هذا ممكناً بتكنولوجيا المعلومات.

ولكي ننتقل من الخاص إلى العام، ما الخصائص الأكثر تجريدية للشبكات وماذا يمكن أن نخبرنا عن الترجمة في عصر الكوكبة؟ أولاً، تُعرف الشبكة بنهايتها المفتوحة ولهذا تمتلك المقدرة على التمدد

استراتيجية تصميم النظرة الفوقية تدعو إلى الفشل في البيئة المتغيرة باستمرار وفي ديناميكية السوق المتنوعة جداً. فالمعلومات القادمة بزمان ومكان محددتين تعتبر العامل الحاسم. فتكنولوجيا المعلومات تسمح بشكل متزامن بالاسترجاع اللامركزي لمثل هذه المعلومات واندماجها في نظام الصناعة الاستراتيجية المرنة. هذه البنية العابرة للحدود تسمح للأعمال التجارية الصغيرة والمتوسطة بأن ترتبط بالشركات الرئيسية، فالمشكلة تكمن في الشبكات القادرة على الإبداع والقادرة على التكيف باستمرار. (نفس المصدر: ١٦٥).

في رحاب مشروع الشبكة، تقوم البيروقراطية الشاقولية بفسح المجال للشركات الأفقية ويصبح تطوير البرامج إحدى القطاعات الديناميكية في التصنيع مع تزايد الحاجة وبشكل أسّي لربط حاسبات مرنة وذات معالجة تفاعلية بالشبكة. فإن أوجد نموذج الشبكة تعبيراً له في تكنولوجيا المعلومات، وفي الأعمال والعلوم الحياتية والفيزيائية (من خلال نظرية التعقيد) (كوفني وهافيلد ١٩٩٥)، فإنه قد أظهر أيضاً مقالات تخمينية عن مستقبل الترجمة

يتصور أحد الباحثين الحالة حيث في العالم المستقبلي المرتبط شبكياً، إذا كان لدى الساتس «الشخصي» SATS (نظام الترجمة

المتعلقة بالشركات الكبيرة فقط، إنما هو فعال أيضاً على مستوى المنظمات الصغيرة. فشبكات اللغة Language Networks هذه المؤسسة الهولندية التي تأسست عام ١٩٩٥ أطلقت «خدمة قاعدة بيانات المترجم في السنة نفسها. وبعد ست سنوات، أصبح لديها ١٩,٦٤٧ مشترك، هدفها الرئيسي الاتصال بالمترجمين المستقلين والشركات المحلية وبشركات الترجمة وبالمستخدمين. وقد وصف المؤسس الروسي لشبكات اللغة، يوري فورونتسوف، وظائف خدمة قاعدة البيانات في الكلمات التالية :

نحن نساعد لاعبي الصناعة المتميزين في أن يجدوا بعضهم البعض ونقدم لهما رصيفاً على الإنترنت يمكنهم من خلاله تأسيس علاقة فيما بينهم. يمكن أن يدخل مستخدمو برج الدلو إلى تطبيقاتنا السهلة والغنية عبر الشبكة، وإلى نظام إدارة المشروع، ويمكن أن يبحثوا عن تفاصيل اتصال المترجمين وعن وثائق من خلال واجهة البحث، وأن يسألوا الأسئلة ويناقشوا موضوعات مهنية على المنتديات، وأن يدرشوا أيضاً.

(ايسيلنك b:٢٠٠١:١٤)

نظرياً يمكن أن تمتد قاعدة البيانات إلى ما لا نهاية ولهذا فهو نظام مفتوح وليس مغلقاً. إنها الشركة نفسها، ومن خلال السيطرة على عملية الاشتراك، التي تعمل كبواب فيما يتعلق بالأفراد أو كمفتاح في

بلا حدود. بهذا المعنى، الشبكة مفتوحة وذات حدود متعددة بدلاً من حدود مغلقة ومركزية (كليي ١٩٩٥ ٢٥-٧). بالنتيجة، يمكن أن تؤدي العناصر الجديدة إلى إعادة البناء بدون انهيار. ثانياً، الشبكات لديها دواخل وخوارج. والانفتاح المحتمل للشبكة لا يعني بأنها مفتوحة للجميع. وفي هذا السياق، لها دوران مركزيان، كدور البواب والمفتاح. فالبواب هو الذي يقرر من سيدخل و من لا يدخل إلى الشبكة. والمفتاح هو الذي يقرر الشبكة التي تتصل أو لا تتصل بشبكة أخرى. ويمكن أن تتداخل الأدوار إذا كان الفرد هو شبكة أيضاً. ثالثاً، إن منطق الشبكة أعظم من سلطة عقدها الفردية (كاستلز ١٩٩٦: ١٩٣). بمعنى آخر، ترابط العقد هو الذي يسمح بالاستجابة الديناميكية المرنة للحالات المتغيرة لكن الأهداف والقيم والنهائية المشتركة تسمح بمستوى من التماسك البنوي في الشبكة ذاتها .

طبيعة صناعة الترجمة المرتكزة على الشبكة تبدو واضحة من خلال الممارسة الحالية. حيث تُدار مشروعات الترجمة في البلدان، والقارات، والثقافات واللغات. فالطبيعة الشبكية لشبكات تكنولوجيا المعلومات هي التي تجعل من الميزان وطبيعة عمليات الترجمة شيئاً عملياً. ولا يظهر هذا التطور بشكل واضح على مستوى الكيانات

في هذا الكوكب وبالسّعة والرّخص ذاته.
(ايسيلنك ٢٠٠١: b: ١٤).

بالمقابل، المترجمون الذين لا يدخلون إلى الحاسبات، والملقّمات، وإلى شبكات الاتصال وتكنولوجيا المعلومات التي تفي بالغرض وإلى التجهيزات الكهربائية التي يمكن الوثوق بها يجدون أنفسهم في منأى عن الشبكات الافتراضية لتبادل الترجمة، بصرف النظر عن مقدرتهم اللغوية أو كفاءتهم بمهنة الترجمة.

ولإيقاف الشبكة لا بد أن يهيمن عليها شكل من اللا تواصل المنظم الذي يضر اقتصاديا وثقافيا كما أضرت التبعية الاستعمارية في السنوات المنصرمة. لهذا السبب أية سياسة مهمة للترجمة يجب أن لا تخاطب فقط النصوص التي ستترجم وكيف ستترجم وإنما من الذي سيقوم بعملية الترجمة. بمعنى آخر، من الخطأ تناول ما هو سياسي على أنه بكل بساطة عالم المجادلات على ترجمة النصوص القانونية وذات الثقافة الراقية. فالنقاشات بشأن التضمين الشبكي واستثناء المترجمين التقنيين والتجاربيين فيها من الحيوية لإعالة الكثير من المترجمين الحاليين والمحتملين في العالم اليوم بقدر ما فيها من الترجمة (أو من غياب للترجمة) للآداب الأصيلة المتنازع عليها. عندما يخبرنا يوري فورونستوف بأن العديد من المترجمين الصينيين قدموا

حالة الوكالات أو الشركات المحلية أو شركات الزبائن. فالأهداف المشتركة التي تدعمها الشبكة هي الكلفة التنافسية، والنوعية، والربح، والتوظيف المريح

القول الفصل في أية مناقشة للشبكات هو أن فكرة المسافة لا تُعرّف بمعانيها المكانية وإنما كوظيفة للاقتراب من العُقد في الشبكة. فإذا كانت المسافات بين نقطتين عُقدًا في الشبكة ذاتها فإنها ستكون أقصر من لو أنها كانت خارجها، أو كما يضعها كاستلز» المسافة (الطبيعية، والاجتماعية، والاقتصادية، والثقافية) لموقع أو نقطة معينة تتفاوت بين الصفر (لأي عقدة في الشبكة نفسها) واللا نهائي (لأي نقطة خارجية للشبكة)

(كاستلز ٤٧٠: ١٩٩٦).

يرى الرئيس التنفيذي لشبكات اللغة بأن الجغرافية الافتراضية الجديدة هي تحول في عمل الترجمة، لأن الكلفة والنوعية برأيه تتأثران إيجابيا بإعادة تعريف المسافة والقرب:

عادة ما تكون نوعية النص المُترجم في بلد لغة الهدف راقية والسعر منخفض بشكل ملحوظ. حاول أن تطلب تسعيرة للمترجم الهولندي في كل من هولندا والصين وسترى ما أعنيه. فالإنترنت جعل من الحدود سهلة الاختراق. عن طريق الإنترنت يمكن أن ترسل وثائق للترجمة إلى أبعد وأقرب مكان

المعاصر للدول المتطورة بعدم تحويل الأشياء ابتداء بالرموز. فالتفاعل مع الناس (ربط شبكات) وبالبيئة الخارجية هو بشكل عام عنصر حاسم في التوزيع الجديد: يضع سوق العمالة اليوم قيمة عليا للمهارات الداخلية التي يمتلكها الشخص وتلك التي يمتلكها في تعامله مع الآخرين، والمقدرة على التفكير بعقلية الآخر، والمقدرة على التعاطف وليس على الخدمة وحدها. فالسجاي مهمة كما المؤهلات). (المصدر نفسه: ٧٥). هكذا فجحافل الوسطاء والمترجمين - بدءاً من المحامين، والمحاسبين. والصحفيين ومدراء المشروع وانتهاء بالمضيفين، والمعالجين، والمستشارين و المعلمين - الذين يتعاملون مع جوانب مختلفة من العلاقات الإنسانية، يمثلون دوراً بارزاً في قطاع الخدمات الحديث. فإذا عمل بعض هؤلاء الوسطاء «كمسهلي تبادل»، يتوسطون بين الناس، وبين المعرفة، والمال، والصحة، أو السلطة، فإن الآخرين هم «المفسرون» *interpreters* الذين يحللون المعلومات، ويدعون في أغلب الأحيان للتحكيم على أساس تحليلهم (مولغان ١٩٩٨: ٧٥-٦٧). يحتل المترجمون والمفسرون موقعا خاصا لأنهم يهتمون بإدارة العلاقات في هذا العالم بشكل عام: بمعنى، أنهم يمارسون مهنتهم «كمسهلي تبادل» و«مفسرين» في الاقتصاديات القديمة والجديدة. غير أن التوسع الاستثنائي للمهنة

خدمات ترجمتهم مجاناً ليدخلوا بكل بساطة في سوق العمل، فربما يكون حماسه في غير محله ولكن استخلاصه كان مفاجئاً: «إيجاد نوع من خارطة سعر للعالم بتلاله ووديانه، ولو أننا يمكن أن نحكم سلفاً على طبيعتها» ، فإن كانت خارطة السعر الموجودة في أعماق الوادي أكثر صعوبة في رؤيتها من تلك الموجودة على قمة الجبل، فإن فرص رؤية البعد اللانهائي من خريطة العالم المعروف (بعالم الشبكة) هي صفر.

إذا أردنا الاهتمام بمن يقوم بالترجمة، لأن المترجمين جاؤوا بمحض إرادتهم إلى الدور الجديد المخصص لهم في الاقتصاد المرتكز على السوق. والحقيقة البارزة في هذا العالم المعاصر هي اختراق اقتصاد السوق. من المقدر أن حوالي ١٠ إلى ١٥ ٪ من سكان العالم كانوا جزءاً من نظام السوق في بداية القرن العشرين، ووصل إلى ٤٠ ٪ في عام ١٩٧٠ ووصل تقريبا إلى ٩٠ ٪ في نهاية القرن (مولغان ١٩٩٨: ٥٤-٥). ونتيجة لهذا التطور أصبح هناك تغير ملحوظ في نسبة النفوذ وتوزيع الأدوار في المجتمع. يلاحظ جوف مولغان أنه في المجتمعات التقليدية انشغل معظم الناس المنخرطين بنوعية عمل معينة بالتحويل الفيزيائي للأشياء.

فقد اهتم فقط الكهنة، والدبلوماسيون أو التجار بإدارة العلاقات بالعالم الخارجي. تُعنى النشاطات أساساً في الاقتصاد

بمميزات الشبكات التي تستحق تسليط الضوء عليها .

أشار ستوارت كوفمان في عمله عن دور الشبكات في تنظيم الذات، إلى أنه عندما نجد اتصالات قليلة جداً فهذا يعني أن الشبكات تعززها المقدرة على التكيف أو التغيير، وأن عدداً زائداً مساوياً من الاتصالات كان معطلاً (كوفمان ١٩٩٣).

وصيانة كل هذه الاتصالات سيؤدي إلى تبديد الوقت والجهد، والنتيجة هي نشوء الانصياع وليس الإبداع. وهذه حصيلة ألمح إليها صموئيل يتلر بشكل هزلي في (Satyr upon the imperfection of Abuse

of Human Learning) حيث يرى:

كلما تحدث الإنسان مزيداً من اللغات

دخلت موهبته في نرف حاد

والجهد الذي يبذله عليها

يتطلب إكماله، كما خفضه بطريقة

أخرى

(هازلت ١٩١٠: ٩٢)

فالصعوبة بالنسبة لوسطاء اللغة والمترجمين عموماً هي أنهم خاضعون لما أسماه مولغان «اقتصاد الارتباط» وكما يرى «كل الارتباطات و العضويات تستغرق وقتاً. فلا يمكن أن نكون أعضاء بعدد غير محدود من المجموعات بالطريقة نفسها لأن الارتباطات لا تتطلب فقط «نوعية الوقت» وإنما أيضاً «كميات من الوقت»، لتتعلم شيئاً

لفترة ما بعد عام ١٩٤٥ هو دليل آخر على أولوية الوسطاء في الترتيبات الاقتصادية الحالية. فكما يستخلص مولغان «إذا كان ارتفاع التبادل قد تركنا في كثافة غير مسبوقة للمؤسسات والثقافات، وأناس ليس لديهم سوى التبادل والتحويل، يأخذون شيئاً ويحولونه إلى شيء آخر»، فليس مستغرباً أن تجد مثل هذا النمو الملحوظ في تدريب المترجم والمفسر في العقود الأخيرة (كامينيد وبايم ١٩٩٥).

إمكانيات التواصل اللامحدودة التي جاء بها نموذج الشبكة يمكن أن يجلب معه خطاباً تسويقياً مشوشاً، لطالما دعي المترجمون للعمل بمختلف اللغات ومع كل شعوب العالم. وأحد الأسئلة الأكثر شيوعاً وأهمية التي طرحها هؤلاء من هم خارج نطاق المهنة هو «كم لغة تتكلم؟» تشير ضمناً أنك بقدر ما تتحدث من لغات أو بقدر ما تمتلك من تواصل لغوي بقدر ما يكون ادعاؤك أكثر مصداقية بأنك مترجم محترم. ومع أن المتقنين للغات عديدة والبارعين فيها ليسوا خارج المهنة، إلا أن معظم المترجمين يشتغلون بعدد محدود من اللغات، والتقييم الفعلي كتقييم مناقض للكفاءة المفترضة في اللغات، هي إحدى المشاكل المتكررة لمراقبة النوعية في عصر تكنولوجيا المعلومات. في الواقع، الصعوبات التي يواجهها المترجمون والحدود الحقيقية لقدراتهم اللغوية ترتبط

فوري. هذه العالمية جاء بها المترجمون أنفسهم الذين يعملون لجعل المعلومات متوافرة في اللغة المهيمنة في السوق. غير أن الشيء الذي انحطت قيمته أو تم تجاهله في دعاية المجتمعات الكونية عبر الإنترنت هو الجهد، والصعوبة والأهم من ذلك كله، الوقت الذي يتطلبه تأسيس وحفظ الارتباطات اللغوية (وتحديداً الثقافية). من هنا، يجد المترجمون أنفسهم في موقع متناقض جداً. فجزء من دورهم المهني هو تبسيط انتشار تبادلات الطلب الأول. حيث لا يتطلب من الشخص أن يمضي سنوات في تعلم اللغة لممارسة العمل في البلد الأجنبي بسبب حضور المترجم أو المفسر، ولو أن المترجمين أنفسهم معروفون بالتزامهم الدائم بتبادلات الطلب الثاني. لهذا تجد حضورهم دائماً فيه شيء من الإزعاج. فالمترجمون يُذكرون بتبعيتهم لتبادلات الطلب الأول وليس بارتباطهم بالطلب الثاني، وهم الذين يقربون طبيعة وقيمة اتصال الطلب الأول. بمعنى آخر، استثمارهم الموقت في اللغات والثقافات يثير ضمناً أسئلة حول جدوى الارتباطات التي هي شاملة في الوصول، لكنها ضحلة في الالتزام.

فالتقارب التقني لا يزيل البعد الثقافي. الاستثمار في اللغة والثقافة يتضمن الالتزام الذي هو إشكالي على نحو متزايد في عصر المرونة المطلقة. يصف ريتشارد

عن دوافع الناس المعنيين وخصوصيتهم، (مولغان ١٩٩٨: ٩٨). وبالطريقة نفسها، لا يمكن أن يكون المترجمون أعضاء بعدد لا نهائي من الثقافات، أو يتكلمون بعدد لا نهائي من اللغات. فالانخراط في اللغة والثقافة بطريقة تكون فعّالة وهادفة للمترجم، يستلزم هدر كميات كبيرة من الوقت لاكتساب اللغة والانغماس في الثقافة. وما يمكن أن نسميه «اقتصاديات الارتباط بالترجمة» تقف ضد النسخ الميسرة لإمكانيات الربط الشبكي التي قدمتها monoglossia Anglophone. بمعنى، يمكن أن يعزى التراجع العام في تعلم اللغة الأجنبية في الدول الناطقة بالإنكليزية خلال السنوات الأخيرة في جانب منه إلى تقديم الإنكليزية على أنها اللغة الوحيدة للعولمة، لكن من جانب آخر يمكن أن يعزى إلى الرغبة في الحفاظ على منافع التواصل دون الإحساس بألم الاتصال (هولبورو ١٩٩٩).

إن الميل في عالم ضغط الفضاء والوقت هو تفضيل تبادلات الطلب الأول على تبادلات الطلب الثاني، مثال الصفقات المقيدة بزمانها التي تقتضي اتصالاً محدوداً مفضلة على الارتباطات المعقدة وطويلة الأجل ومتعددة الأبعاد. فالشبكة المسندة بتكنولوجيا المعلومات التي تأتي بالرسائل والصور من كل أنحاء العالم خلال دقائق وثوان، تفضي إلى شبكة عالمية ذات تواصل

سينيت في «تآكل الشخصية» حلول الممارسات الجديدة التي تغيّر علاقة الناس بالعمل : اليوم عبارة (الرأسمالية المرنة) تصف النظام بأنه أكثر من الانقلاب على الموضوع القديم. فالتأكيد هو على المرونة. فالأشكال الروتينية المتخشبة هي تحت الخطر، كما هو حال شرور الروتين الأعمى. فالمطلوب من العمال التصرف برشاقة، وأن يكونوا منفتحين على التغيير بلمح البصر، وأن يتحملوا المخاطر بشكل مستمر، وأن يكونوا أقل اعتماداً على التعليمات والإجراءات الرسمية. (سينيت ١٩٩٨ : ٩)

إن الدفاع عن المرونة في الاقتصاد هو جزء من النموذج الأكبر في الحداثة المتأخرة الذي هو نزع للتوابت أو المواقع المستقرة نسبياً. فإذا وضعت الثورة والإصلاح حداً لأصناف إقطاعية من الانتماءات، فهذا لا يعني نهاية الحاجة للانتماء. فالصعوبة في عهد «الرأسمالية المرنة» هي معرفة الشيء الذي تنتمي إليه، وكيف وإلى متى. كما يرى بومان، إن «الاقتلاع» هو اليوم تجربة قد تكرر مرات عديدة في مسيرة حياة الفرد، طالما لا تجد إلا القليل من «المرتكزات» الصلبة لإعادة التجذير «وضمن استدامة استقرار طويل للعمل. النتيجة هي أنه ليس هناك أمل في إعادة تجذير نهائي في الأفق المنظور»، لأننا بدأنا نرى أن هناك أسلوب حياة دائمة من الأفراد المقتلعين (مقتلعون

يمكن فهم الشبكات بشكل مختلف في هذه العملية، حيث يمكن أن تظهر على أنها بنية إغلاق بدلا من نماذج انفتاح. والمقصود بهذا أن بناء شبكات انتماء دقيقة، سواء على مستوى الأفراد، أو الجماعات أو الأمم، هي ردود أفعال على البداوة المنفلتة والمهددة للشبكات الكبيرة. حتى أولئك الذين يكتسبون الثروة ويمارسون السلطة من خلال شبكات المشروع العالمي هم حريصون على بناء شبكات من التواصل الاجتماعي منغلقة نسبياً حيث أسعار العقارات، والتعليم العالي والعضوية المنتقة للنوادي تبقى على طبقة الأغنياء وتترك الفقراء على الأبواب (كاستيلز ١٩٩٦ : ٤١٦). ومع تنامي سلطة الشبكات الكبرى، يمكن أن نفترض تزايد أهمية الشبكات الصغيرة بدلاً من تناقصها طالما يبحث الأفراد والجماعات لحفظ شيء من التماسك الاجتماعي.

وكما رأينا في وقت سابق، تمتلك الشبكات دواخل وخارج، والدور الذي تقوم

إحدى الشركات المتعددة الجنسيات الأكبر في العالم ضمن ثالوث ذي امتيازات: الاتحاد الأوروبي و الولايات المتحدة و اليابان حيث استراتيجيات العمل عندها إقليمية بدلاً من عالمية. والأكثر من هذا، كما يرى كوني مايرسون، «تواصل الحكومات الوطنية بقوة تنظيم قطاع الخدمات، وتحد من الدخول إلى السوق الحرة وتزيد من حجم التنظيم لديها (مايرسون ٢٠٠٢: ١٣). وليست السوق لوحدها ليست حرة كما يدعون، إنما هناك أيضاً ميل لتشويش اتصال المعلومات بتحقيق الهدف. وقد يكون الإنترنت مفيداً جداً في نقل المعلومات المترجمة ولكن هذا لا يعني أنه يستطيع أن يجمع السلع والناس وبعض الخدمات. من هنا، فإننتاج مادة مترجمة في لغة أجنبية قد يكون الخطوة الأولى لكنها ليست الخطوة الوحيدة. يعطي مايرسون مثلاً قاعدة البيانات :

اليوم عندك قاعدة بيانات أوراكل Oracle مع وفرة المحتوى المعولم، ماذا عن البدء بمخازن المنتج في سلوفاكيا، وتدريب الكوادر على عينات من المنتج في اللغة الأخرى، وإدارة التسليم المعقد للتمويل في الخارج، وتعلم جغرافية السوق، واكتشاف كيفية تقديم الدعم للزبون في بلد لا تجد فيه رقماً هاتفياً إلخ...٩.

به المفاتيح و البوابون يمكن أن يقرر من سيدخل ومن سيخرج. ووظيفة الترجمة هي أن تقرر المصطلحات التقنية والدينية والفلسفية والثقافية واللغوية التي يمكن قبولها أو استبعادها في الشبكة الصغيرة لمجموعة معينة أو ثقافة معينة. بالمقابل، إنها الترجمة التي ستؤثر على ما يمكن أن يُسمح به من الشبكة الصغيرة جداً للاتصال بشبكات صغيرة أخرى، أو الاندماج بشبكات عملاقة معترف بها عالمياً. مثال على الحالة الأولى، تأثير الترجمة من بين لغات الأقلية على المجموعة السلتية الأوروبية (كرونن ١٩٩٦: ١٨٩)، وعلى الحالة الثانية، النجاح العالمي الذي حققه أدب أمريكا اللاتينية في سبعينيات وثمانينيات القرن العشرين.

إن مقدرتك على اختيار أو استبعاد الشبكات أو أن تكون قادراً على ممارسة دور المفتاح أو البواب ليست مسألة اختيار فردية بل هي ضرورة بنيوية وإمكانية اقتصادية سياسية. بمعنى، إن أية مناقشة للترجمة والعولمة يجب أن تأخذ بعين الاعتبار الحقائق الاقتصادية والسياسية ذلك أن الاستخدام العشوائي للمصطلح يخدم التكرار لهذه الحقائق. وتتزع اللغة التي تشكك بإمكانية العولمة على صناعة الترجمة إلى قبول الفهم العالمي وتحقيق اليوطوبيا الليبرالية الجديدة كمعطيات بديهية. من هنا، تبعاً لمجلة Fortune العدد ٤٣٤ تعمل

العولمة ونماذج جديدة للترجمة

باستراتيجيات الترجمة العالمية هي شكل من أشكال المعارضة الداخلية. ولأنها كانت ذات مرة أحد مستشاري ستاربوك، وشركة الطيران الأمريكية وماكدونالد الأوروبية، لم يكن تدمرها من الليبرالية الجديدة بحد ذاتها وإنما من النزاع غير الكافي للقيود التي تنظم الأسواق الوطنية والنزعة لترك طوباوية تكنولوجيا المعلومات تحجب حقائق الأعمال العالمية. بنفس الطريقة عندما تحلل روز لكوود، مديرة البحث في الشبكة العالمية بيرلتز Berlitz Global Net الصعوبات التي واجهتها الشركات التي رغبت بتطوير الأعمال الإلكترونية في وسط وشرق أوروبا (والحاجة اللاحقة للمادة المترجمة). ترى بأن الخصخصة، ورفع القيود الناظمة وتوسيع السوق عناصر أساسية تضمن نمو خدمات الترجمة في المنطقة وهكذا تزيد من الإمكانية للعولمة (لوكوود Lockwood ٢٠٠١-٩-١).

بمعنى، إن الصعوبة هي الخطأ في الفترة الزمنية لشبكة ما مع فترة زمنية لشبكة أخرى.

فالمعلومات، ومعلومات الترجمة، قد تنتشر بسرعة متزايدة من خلال شبكات تكنولوجيا المعلومات وشبكات الاتصال، لكن حركة السلع والناس (كالعمال، ومزودي الخدمة أو الزبائن) تخضع لقيود عناصر زمانية ومكانية من شبكات أخرى أكثر مادية، كالطرق، والمطارات، وموانئ الشحن والسكك الحديدية. هذا بدوره يتضمن الاتصال بترجمة أكثر ثباتاً، لطالما ظلت الشركات تبحث عن وسطاء لتدريب الكوادر على عينات من المنتج في لغة أخرى، وتدريب الكوادر على عينات من المنتج في اللغة الأخرى، وإدارة التسليم اللوجستي المعقد في الخارج، «وتعلم جغرافية السوق»، وأخذ الأمثلة التي استشهد بها آنفاً. ويمكن القول بأن نقد مايرسون عيوب الدعاية التي تحيط

